



لم يكِد النِّظامُ السُّوريُّ يتَّيَّهُ بنصِّرِهِ المَوْهُومِ في إِكْمَالِ إِحْكَامِ طَوقِ الحَصَارِ عَلَى مَدِينَةِ حَلَبَ، وَيَعْلَمُ عَنْ مَمْرَأَتِهِ الْآمِنَةِ لِتَفْرِيغِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَيْنِ؛ ضَمِّنَ خَطَّةِ التَّغَيِّيرِ الدِّيمَغْرَافِيِّ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَجْهَزُ لِلْاحْتِفَالِ، وَيُظْهِرُ عَلَى إِعْلَامِهِ كِيفَ يَقُولُ الْمَسْلَحُونَ بِتَسْلِيمِ أَنفُسِهِمْ وَسَلَاحِهِمْ لِلْجَيْشِ الْعَرَبِيِّ السُّورِيِّ، حَتَّى بِاغْتَتْهُ فَصَائِلُ الثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ بِمَا لَمْ يَكُنْ بِحَسْبَانِهِ؛ بِضَرِبَةِ عَسْكَرِيَّةٍ حَقَّقَتْ هَدْفَأً مَزْدُوجًا يَكْسِرُ الْحَصَارَ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَيَغْلِقُ الطَّوقَ عَلَى رَقْبَةِ النِّظامِ فِي حَلَبَ، لِيَجْدِ النِّظامُ أَنَّ مَا حَقَّقَهُ فِي سَتَّ سَنَوَاتٍ مِنْ حَصَارِ حَلَبَ وَفَقَ خَطْتِهِ الْمَسْمَاءِ دَبِيبَ النَّمْلِ يَكْسِرُهُ الثُّوَارُ فِي سَتَّةِ أَيَّامٍ يُوحِدُهُمْ.

لم يَكُنِ الانتصارُ فِي مَعَارِكِ حَلَبَ أَمْرًا عَادِيًّا، فَلَقَدْ جَعَلَ مِنْ حَزْبِ اللَّهِ وَأَسْطُورَتِهِ فِي مَوَاجِهَةِ إِسْرَائِيلَ هَبَاءً مُنْثَرًا، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي مَسْتَنقِعٍ مَوْحِلٍ لَا سَبِيلَ لَهُ بِالْإِنْسَابِ، وَلَا سَبِيلَ لَهُ فِي الْمَتَابِعَةِ، وَأَنَّ مَا كَانَ يَزْهُو بِهِ مِنْ انتصاراتِ عَلَى إِسْرَائِيلَ مَا هُوَ إِلَّا نَزَهَةٌ بِمَقَابِلِ مَا لَقِيَهُ مِنْ هَذَا الشَّعَبِ الَّذِي عَلَمَهُ الْمَقاوِمَةُ عَلَى أَصْوَلِهَا.

وَذَهَبَ بِهِبَّةِ رُوسِيَا، الَّتِي يَجْبُ عَلَيْهَا أَنْ تَوَقَّنَ يَقِيْنًا لَا يَشُوُّبُهُ الشَّكُّ أَنَّهَا لَا تَتَنَاصِرُ نَظَامًا شَرِيعَيًا بِمَوَاجِهَةِ عَصَابَةِ مَسْلَحَةٍ، وَإِنَّمَا تَوَاجِهُ شَعْبًا يَبْحَثُ عَنْ حَرَيَّتِهِ فِي مَوَاجِهَةِ نَظَامِ سَاقِطٍ، بِقَيْمَتِ هِيَاكُلٍ لَتَعْطِيَ غَطَاءً لِتَدْخُلٍ خَارِجِيٍّ يَحْتَلُّ أَرْضَنَا، وَيَجْوِسُ فِي دِيَارِنَا.

كَذَلِكَ إِيْرَانُ هِيَ الْأُخْرَى لِقَنَتْ دَرْسًا قَاسِيًّا، وَمُرِّغَ أَنْفُهَا فِي التُّرَابِ، وَأَدْرَكَتْ أَنَّهَا لَا مَكَانَ لَهَا فِي بَلْدِ يَتَصَارَعُ عَلَيْهِ الْكَبَارُ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَنْقُلُ قَتْلَاهَا فِي طَوَابِيرَ مِنَ الصَّنَادِيقِ، لَا لَأْجَلِ شَيْءٍ؛ وَإِنَّمَا انتصارًا لِلْحَسَنِ فِي حَلَبَ.

لَمْ تَحْقِقْ مَعْرِكَةً مِنْ مَعَارِكِ الْثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ إِجْمَاعًا بَيْنَ الْفَصَائِلِ مَا حَقَّقَتْهُ مَعْرِكَةُ فَكِ الْحَصَارِ عَنْ حَلَبَ، وَلَعِلَّ إِغْلَاقَ قَوَافِتِ الْاِحْتَلَالِ الْمَجْوِسِيِّ الْصَّلَبِيِّ لِطَرِيقِ الْكَاسْتِيلُو كَانَ خَيْرًا عَلَيْنَا، فَمَنْذَا الَّذِي يَتَجَرَّأُ عَلَى حَسْبِ الْأَسْوَدِ فِي عَرِينِهَا دُونَ أَنْ يَسْمَعَ زَئِيرَ غَضِيْبِهِمْ، وَتَمَرَّقَهُمْ مَخَالِبُهُمْ؟!

فِي هَذِهِ الْمَعْرِكَةِ لَا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَذَكَّرَ فَصِيَالًا دُونَ آخَرَ، وَلَا أَبْنَاءَ مَحَافَظَةِ دُونَ مَحَافَظَةٍ، فَكُلُّ أَبْنَاءِ الْمَحَافَظَاتِ السُّورِيَّةِ، وَكُلُّ الْفَصَائِلِ الْتَّوْرِيَّةِ، كَانَتْ جَنِيًّا إِلَى جَنِبِ، تَمْتَزِجُ دَمَاؤُهُمُ الطَّاهِرُهُ عَلَى ثَرَى حَلَبَ، فِي مَشَهِدٍ يُلْخَصُ مَشَهَدَ الْصِّرَاعِ فِي كُلِّ سُورِيَا، وَإِنْ كَانَ الْعَتْبُ مَوْصِلًا لِفَصَائِلِ الْجَنُوبِ، الَّتِي طَالَمَا تَمَيَّنَا أَنْ تَتَّخَذَ قَرَارَهَا فِي هَذَا الْوَقْتِ بِصَفَةِ أُخْرَى لِلْنِّظامِ.

عن أهمية الفتوحات في حلب يقول المحلل السياسي الإسرائيلي، تسيفي برئيل، في مقال له في صحيفة هارتس، بعنوان "لماذا حلب؟": إنَّ قرب حلب من تركيا في الشمال سيجعل منها قاعدة لوجستية بدعم تركي إسلامي لفرض نفسها بقوَّة في سوريا، وسينطلق الجيشُ الحرُّ من هذه القاعدة لتحرير كامل سوريا.

كما قالَت صحيفَة التايمز: معركةُ حلب "مصيرية" لنظامِ الأسد، ونتائجُها ستَحدِّد قدرَتَه على البقاء أو السُّقوطِ. لقد كانَ الغربُ ينظرُ إلى المعركة بعينِ الريبة، وعدمِ الارتيابِ، الغربُ لا يخشى فكَ الحصارِ عن حلب، بل فكُ الطُّوقِ عن الثورةِ السُّورِيَّة بعدَ حَالَةِ التَّلاحمِ بينَ الجميعِ، من الأهالي والفصائلِ، وهو يعلمُ أنَّ فكَ الحصارِ سيعيَّد للثورةِ السُّورِيَّة قرارَها السياسيِ المسلوبَ بالهُدُنِ، والمصالحاتِ، والانشغالِ في إطفاءِ الحرائقِ، والملفاتِ الإنسانيةِ، عن إسقاطِ النِّظامِ. فقد أثبتَت المعركةُ الأخيرةُ أنَّه لا فائدةٌ من العملِ السياسيِ والجلوسِ على الطَّاولةِ مستجدِيًّا وأنتَ مهزومٌ منكسرٌ على الأرضِ، وأنَّ ما تخسرُه في المعركةِ لا يمكنُ أنْ تربحَه في السياسةِ، والمفاضلاتِ، والاستجاءِ، وأنَّ البندقيةَ لا تزالُ هي أَهْمَّ وسائلِ الحلِّ في المعادلةِ السياسيَّةِ.

انتصرَتْ حلبُ عندما جرَّدتُ الهويَّةَ من مرايَاتها المتشعَّبةَ، وأعْتَقَ الرِّجالُ رقابَهُم منَ التَّبعيَّةِ الحزبيَّةِ، فأصبحَتِ المعركةُ صفرِيَّةً، إِمَّا نكونُ أو لا نكونُ، هي معركةُ حياةٍ أو موتٍ، التَّفَتَ فيها الحاضنةُ الشعبيَّةُ حولَ أبنائِها منَ المجاهدينِ، ولم يَتجهُ سوريًّا واحدًَ إلى المعابرِ الآمنةِ التي أعلَنَ عنها النِّظامُ، فقدَ كانوا على يقينٍ راسِخٍ أنَّ لهم إخوةً وأبناءً لا ينامونَ على الضَّيْمِ، وأنَّ الموتَ تحتَ البراميلِ والحاصارِ أهونُ من إعطاءِ الدَّيْنِ لذلِكَ النِّظامِ الغاشِمِ.

في خضمِ هذه الانتصاراتِ الكاسحةِ علينا أنْ نفطنَ إلى أفعىينِ خطيرَتِينِ تتحرَّكانِ دائمًا في مثلِ هذه الظُّروفِ؛ أفعى داعشِ التي تأرِّزُ إلى جُحرِها إذا ما كانَ المجاهدونَ في حالةِ ضعفٍ وتراجعٍ، وتمُّدُ برأسِها وقتَ انتصارِهم لتلَّدهم وتطعَّنَهم في الظَّهرِ.

وإلى أفعى الـ"بيِّ كاِ" (وحداتِ الحمايةِ الكرديَّةِ)، التي تأرِّزُ إلى جُحرِها وقتَ انتصارِ المجاهدينِ، وتمُّدُ برأسِها لتغدرُ بهم وقتَ ضعفِهم وتکالبِ الأعداءِ عليهم.

لقد أثبتَتْ هذه المعركةُ أنَّ استراتيَّجيةَ ضربِ المواقعِ العسكريَّةِ أَجَعَّ وأنْفَعَ من خوضِ المعاركِ الشَّرِسَةِ لأجلِ تحريرِ بناءٍ في مدينةِ لنتيَّةِ بنصِّرِ تكتيكيٍّ، فإنَّ ضربَ المواقعِ العسكريَّةِ يعطيكَ منَ القوَّةِ بمقدارِ ما يفقدُ خصمُكَ من قدراتِ وقوَّةٍ، فلا بدَّ منَ المتابعةِ في ذَكِّ المواقعِ العسكريَّةِ الاستراتيَّجِيَّةِ للنِّظامِ.

كما أثبتَتْ هذه المعركةُ لكلِّ ذي لُبٍّ أنَّه لا مندوحةٌ عنِ الوحدةِ والاجتماعِ على الهدفِ المقدورِ، وأنَّ ما يخسِّرُهُ بعضُنا تُجاهِ بعضِ في سبِيلِ وحْدَةِ الكلمةِ سُرِّيَّةٌ أضعافًا مضاعفَةً من حسابِ عدوِنا حينَما نواجهُهُ بوحدةِ القرارِ والهدفِ، وأنَّ ما نكسيَّهُ في فُرقِتنا من مكاسبِ فصائلِيَّةِ ضيقَةِ سُنْخَرُهُ أضعافًا مضاعفَةً في مواجهةِ عدوِنا، ولنعلمُ أنَّ عشراتِ الخسائرِ التَّكتيكيَّةِ أمامَ مكاسبِ استراتيَّجيِّيَّةِ كثيَّرٍ من عشراتِ الانتصاراتِ التَّكتيكيَّةِ مقابلَ هزيمةِ استراتيَّجِيَّةِ واحدةِ. لذلكَ نقولُ إنَّ انتصاراتِ حلبَ هي انتصاراتُ استراتيَّجِيَّةٍ في كلِّ المقايسِ، حاصَرَتِ النِّظامُ، وكسَرَتِ الحصارَ عنِ أهْلِنا، وأفقدَتِ النِّظامَ أَهْمَّ معايِّلهِ ونقاطِهِ العسكريَّةِ، وحقَّقتُ للمجاهدينَ كمِيَّةً كبيرةً منَ الغنائمِ، الأمرُ الذي سيجعلُهم قادرينَ على المتابعةِ في التَّحريرِ بدونِ أيِّ عائقٍ ومصادرِ للقرارِ.

أخيرًا يقولُ صلاحُ الدينِ الأيوبيُّ:

"ما سُرِّرتُ بفتحِ قلعةِ أعظمَ من سروري بفتحِ قلعةِ حلب؛ فإذا فتحْتْ حلبُ فتحَتِ الشَّامُ كُلُّها بعونِ اللهِ".

فنسألُ اللهَ تعالى أنْ تكونَ فتوحاتُ حلبَ هي بدايةَ الغيثِ لفتحاتِ تصُلُّ إلى كلِّ شبرٍ من بلدِنا، وتكسرُ الحصارَ عنِ كلِّ محاصِرٍ في داريَّا، والغوطةِ، والريفِ الشَّماليِّ لحمصَ، والقلمونِ.

